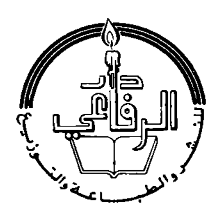
شعراء مغمورون
(١)

عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني

تأليف
عبد العزيز أحمد الرفاعي

دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ بداياتي ، كانت لي مطالعات في كتاب (الأغاني) حينما كنت ، إبان الطلب ، أو قريبًا منه ، أتردد على مكتبة الحرم في مكة المكرمة ، فبدأت اطلع على عدد من الشعراء . ليست لأسمائهم تلك السيرورة التي نراها لشعراء آخرين أخذوا حظًّا واسعًا من الشهرة ، مع أن هؤلاء الشعراء الأغفال ، على جانب غير قليل من الإجادة والتفوق ..

ومن هنا اعتقدت أن التاريخ الأدبي ألحق بهؤلاء الشعراء ظلمًا غير يسير .. فأخذت على عاتقي أن أحاول إنصاف مَنْ أستطيع منهم ، وأن أنقل أسماءهم من ذلك الظل الذي غشيهم إلى ما أقدر عليه من إلقاء الضوء على حيواتهم ، وأشعارهم جمعًا وشرحًا .

وكان مما فعلت في هذا السبيل ، محاضرة عن الشاعر (العرجى) ، خصصت بها جامعة الملك سعود في أول تأسيسها ، كنت عازمًا على أن أعيد فيها النظر ، وأن أصدرها كتيبًا ، ولكني لم أفعل فقد صرفتني عنها صوارف كثيرة ..

ولكنى أصدرت من بعد كتيبات في هذا الصوب ، مثل : (ضرار بن الأزور) ، و (أرطاة بن سهية) ، و (زيد الخير) ..

ثم كانت لي بأخرة ، نظرات متأملة في كتاب (جمهرة نسب قريش) للزبير بن بكار ، القسم الذي عني بتحقيقه الأستاذ الكبير (محمود محمد شاكر) .. فإذا أنا أيضًا أمام شعراء كثر ، من الأغفال الذين لم يأخذوا حظهم من الشهرة وبعد الصيت .

ومن هؤلاء الشاعر (عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني) الذي رأيت في شعره ، ما هو جدير

بأن يجلى ...

فلما وجهت إلي الدعوة لأول مرة للاشتراك في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والخمسين ، بصفتي عضوًا مراسلًا ، رأيت أن يكون موضوع حديثي فيه عن هذا الشاعر ، مبتدئًا بذلك سلسلة من الأحاديث ، عن الشعراء المغمورين .. أنتوي أن أكتبها ، سائلًا الله عليها العون والتوفيق .. وإن كانت هذه البداية مسبوقة بتلك التي ذكرت طرفًا منها .

وهكذا كان ..

ثم بدا لي أن أنشر هذا الكتيب ، لتتسع دائرة محاولة إنصاف شاعرنا ، فيقف عليها من أراد من القراء ..

ولا أزعم أنني قد استطعت أن أستقصي كل ما ورد عن هذا الشاعر في كتب الأدب والتاريخ ،

ولكني بذلت في ذلك ما أمكنني من جهد .. آملًا أن أجد من نقد النقّاد ما يلقي على الشاعر مزيدًا من الضوء . والله من وراء القصد ..

القاهرة : ٩ شعبان ١٤١٠ هـ **عبد العزيز الرفاعي**

الفصل الأول

ترجمته وأخباره

حديث المصادر وترجمته :

هذا شاعر من شعراء القرن الثاني الهجري ، قلما عُنيت به المصادر الأولى ، أو ترجمه المترجمون .. بالرغم مما يتميز به شعره من طلاوة ، حتى كتاب الأغاني الضخم ، الذي استقصى الكثير من الأخبار والأشعار ، لم يرد فيه ذكر هذا الشاعر ، أو أي خبر عنه ، مع أننا نجد أبا الفرج مؤلف الكتاب ، ينقل الكثير الكثير عن الزبير بن بكار – والزبير هو المصدر الأول لأشعار هذا الشاعر – ولكنه لا ينقل إلى الأغاني شيئا من خبره ولا شعره .

والزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) ، يكاد يكون المصدر الوحيد الذي نقل إلينا طائفة من شعر هذا الشاعر في القسم الذي طبع من كتابه عن أنساب قريش .. أعني كتاب (جمهرة نسب قريش) ،

الجزء الأول ، الذي حققه الأستاذ (محمود محمد شاكر) ولم يصدر بعد الجزء الأول شيء .

وحينما أقول يكاد ، فإنما أعني أنني عدا ما ذكرت لم أقف – حسب اطلاعي الضئيل – على شيء من شعره في كتاب مطبوع إلا في (التعليقات والنوادر) لأبي عليّ هارون بن زكريا الهجري ، المتوفي حوالي سنة (٣٠٠ هـ = ٩١٢ م) . وإلا قطعة من أربعة أبيات ، جاءت في كتاب (الورقة) ، نقلها صاحب (الفهرست) ، وسيأتي الكلام عنها بعد قليل .

أما ما ورد لدى كل من الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في (تاريخ بغداد) ، وابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) في (تاريخ دمشق) ، من شعر ، فهو ينتهي بروايته إلى الزبير بن بكار .

ولم أقف على من ترجم له ترجمة مستقلة من قدامى المؤرخين ، إلا النديم أو ابن النديم في (الفهرست) ..

وقد دل على (الفهرست) الأستاذ (محمود محمد شاكر) في هامش ٦٧ ، ٦٨ من كتاب (جمهرة نسب قريش) الجزء الأول ، في الفقرة (١١٩) .

وبالرجوع إلى (الفهرست) طبعة (رضا - تجدد) وجدته قد ترجم له في (فصحاء الأعراب) ، وجاءت ترجمته في ص (٥٥) ، وهذا نصها :

« ابن أبي صبح ، عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المازني ، أعرابي بدوي ، نزل بغداد ، وبها مات ، كان شاعرًا فصيحا ، أخذ عنه العلماء ، وله مع الفقعسي أخبار طريفة . قال دعبل : حضر

الفقعسي دارا فيها وليمة ، وحضرها ابن أبي صبح الأعرابي ، فازدحما على الباب ، فغلب ابن أبي صبح ، ودخل قبل محمد وقال :

ألا ليت أنكِ أمَّ عمرو
شهدتِ مقاوِمي كي تعذريني
ودفعي منكب الأسدى عني
على عجل بناجية زبون
بمنزلة كأن الأُسدَ فيها
رمتني بالحواجبِ والعيون
وكنتَ إذا سمعت بحق خصم
منعت الخصم أن يتقدموني » أهـ.

أما خصمه الفقعسي ، الذي زاحمه على باب الوليمة ، فقد ترجم له أيضا صاحب الفهرست ، قبله مباشرة ، ويبدو أنهما يزدحمان حتى على باب الفهرست للترجمة ، ولكن الفقعسي كان هذه المرة هو الغالب .

فقد تقدمه في الترتيب ، وهذا نص ما أورده صاحب الفهرست (ص ٥٥ أيضا) :

« الفقعسي ، واسمه محمد بن عبد الملك الأسدي ، راوية بني أسد ، وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعرا ، أدرك المنصور ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد ، فمن شعره يمدح الفضل بن الربيع :

الناس مختلفون في أحوالهم
وابن الربيع على طريق واحد

وله من الكتب المصنفة (كتاب مآثر بني أسد وأشعارها) » أهـ [١] .

---

(١) يبدو أنه كان محظوظا أيضا عند الزركلي ، فقد ترجم له في (الأعلام) ولم يترجم للخصم .. فذهب إلى أن وفاته نحو سنة ٢١٠ هـ = ٨٢٥ م . وقال إنه أدرك أيام المنصور العباسي ، ومدح الرشيد والمأمون ، وبعض رجالهما ، واعتمد على كتاب (الورقة) لابن الجراح .

ولكننا نجد ابن الجراح ، محمد بن داود (ت ٢٩٦ هـ = ٩٠٩ م) ذكر ابن أبي صبح في كتابه (الورقة) ص ١٤ ، حينما ترجم لخصمه : محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي ، سالف الذكر في ص ١٣ ، (ورب ضارة نافعة) قال ما نصه :

« قال ابن أبي خيثمة : قال دعبل : حضر محمد بن عبد الملك الفقعسي دارا فيها وليمة وحضرها ابن أبي صبيح الأعرابي ، وكان بدويا نزل بغداد ، ومات بها ، وكان شاعرا مجيدا ، فازدحما على باب الدار ، فغلب ابن أبي صبيح ، ودخل قبل محمد ، فقال ابن أبي صبيح : (ثم أورد الأبيات الأربعة التي سلف ذكرها) ..

ونحن نرى تشابه النصين عند ابن الجراح وابن النديم ، ما عدا بعض الاختلاف ، فرواية ابن الجراح تقول : إنه كان شاعرا مجيدا . ويقول ابن النديم : كان شاعرا فصيحا . وهو عند ابن الجراح ابن أبي صُبيح ،

بضم الصاد وبعدها باء فياء بتصغير صُبح ، ولكنه عند ابن النديم ابن أبي صُبح ، بصاد ثم باء فحاء ، وهو يقول في تعريفه (المازني) نسبة إلى (مازن) وابن الجراح لم ينسبه إلى قبيلة .

وابن الجراح كان أسبق وأقدم ، وقد نقل ابن النديم من كتابه (الورقة) الشيء الكثير .. وربما اعتمد عليه في نقل هذا النص مع شيء من التغيير .. وكلاهما ينقل الشعر عن (دِعْبل) ، وهو دِعبل بن علي ابن رَزين الخزاعي (١٤٨ – ٢٤٦ هـ = ٧٦٥ – ٨٦٠ م) الشاعر المعروف ، له كتاب (طبقات الشعراء) [1] ، وربما كان هو مصدر هذه النصوص .

---

(١) انظر عنه (تاريخ التراث العربي) لسزكين ج ٤ من المجلد الثاني الخاص بالشعر ، ص ٩٠ وما بعدها . وهو يقول عن هذا الكتاب : « وهو كتاب كثر النقل عنه » .

ولكن لا يفوتنا أن ابن الجراح ، يقول في بداية نصه : (قال ابن أبي خيثمة) .. وابن أبي خيثمة هو أحمد بن زهير (١٨٥ - ٢٧٩ هـ = ٨٠١ - ٨٩٢ م) ، وهو من أبرز تلامذة المصعب بن عبد الله ابن مصعب الزبيري ، صاحب كتاب (نسب قريش) ، وأحد كبار الرواة للأخبار والأشعار ، وعليه اعتمد ابن أخيه (الزبير بن بكار) في كتابه (نسب قريش) ، أو جمهرة نسب قريش .. وهذا يقودنا إلى السند الزبيري .. ولا يبعد أن يكون كتاب (جمهرة نسب قريش) ، هو مرجع هؤلاء الذين نقلوا أخبار ابن أبي صبح أو على الأقل طرفًا من أخباره - بيد أنني لا أستطيع الجزم مادام جزء كبير من هذا الكتاب لم ينشر بعد ، غير ما هو مفقود منه لم يعثر عليه حتى الآن .

على أنه وقد تطرق الحديث إلى كتاب (الفهرست) وما أورده من تعريف عن ابن أبي صبح

– مهما كان ضئيلا – فلا أود أن أتجاوزه دون أن أذكر أنه قال عنه في باب (الفن الثاني – من المقالة الرابعة (ص ١٨٧) من طبعة تجدد : « ابن أبي صُبح مقلّ » ، وسواء أنقل هذا من كتاب (الورقة) لابن الجراح أم لم ينقله ، فهو يعطينا معلومة انتهى إليها علمه ، وهي أن هذا الشاعر مقل .. فهل كان مقلا حقا .. ؟ هذا ما أرجو أن أعود إليه بالحديث فيما بعد إن شاء الله) .

المصدر الأقدم – إذن – الذي نجد فيه ذكر ابن أبي صُبح هو كتاب (جمهرة نسب قريش) ، ولكنه ليس المصدر الوحيد ، فهناك مصدر آخر هو كتاب (التعليقات والنوادر) لأبي علي هارون بن زكريا الهَجَري المتوفى نحو سنة (٣٠٠ هـ = ٩١٢ م) ، أي أنه كان معاصرا لابن الجراح [١] .

---

(١) لأستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر كتاب مطبوع عن الهجري .

وقبل أن أتعرض بالتفصيل ، لما جاء في هذين المصدرين .. أود أن أقف قليلا عند ما جاء من اختلاف في اسم الشاعر ونسبته .. فهل هو ابن أبي صُبح أو ابن أبي صُبيح كما جاء عند ابن الجراح ؟ وهل هو من مازن ؟ كما قال صاحب الفهرست ، وتابعه على ذلك الأستاذ (سيزكين) في (تاريخ التراث العربي) ؟ أو هو من مزينة .

أقول : هو عند الزبير بن بكار في جمهرته ، وعند (الهَجَري) في تعليقاته وهما أسبق وأقدم (ابن أبي صُبح) أي بدون تصغير ، كما هو عندهما مُزَني لا مازني .. وبين النسبتين فرق ، كما هو معلوم .. وبعض كتب الأنساب تذكر اسم (عبد الله بن عمرو المُزَني) في النسبة إلى مُزينة .. كما هو عند السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) ، ولا أستطيع أن أجزم أيقصد هذا الشاعر ، أو علما آخر ؟ ذلك أن شاعرنا اشتهر بلقب

(ابن أبي صبح) يلازم اسمه .. ومهما يكن الأمر فهو ليس مازنيا وقد يكون الخطأ في (الفهرست) تحريفا من الناسخ .

وقد جاء في شعر هذا الشاعر ما يجزم بأنه من مُزينة مضر ، وهو قوله يمدح مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري :

أني لأحبسُ نفسى وهي صادية
عن مصعب، ولقد بانت لي الطرق
رعوى عليه كما أرعى على هَرِم
قبلي زهير وفينا ذلك الخلق

وزهير الذي يعنيه هو (زهير بن أبي سُلمى) وهو شاعر مُزني من مضر ، بل هو يصرح بمزنيته في قوله مادحًا مُصعبًا :

لسارت إليه مدحة مزنية
يلذ بها في المنشدين نشيد

ولا ينبغي أن يفوتني عندما أعزو معظم ما انتهى إلينا من شعره إلى رواية الزبير بن بكار ، أن أذكر أن هذا يروي الكثير مما ورد في كتابه (جمهرة نسب قريش) عن عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري ، وهذا كان صديقا حميما للشاعر ، وطالما امتدحه الشاعر ، وسيأتي من الشواهد ما يدل على ذلك .. على أنه مما يلفت النظر حقا ، أن مصعبا لم يشر إطلاقا إلى اسم صديقه الشاعر في كتابه (نسب قريش) ، وذلك لأن منهجه فيه كان إيرادَ الأنساب فحسب ، متجنبا الأخبار والأشعار ، وكأنما كان يدخرها لكتاب آخر ، أو كأنه ادخرها لابن أخيه أعني الزبير بن بكار ، الذي كان مولعا بالاستطراد الأدبي ، فذكر أخبارا وأشعارا كثيرة إلى جوار الأنساب ، وحسنًا فعل ، فقد أصبح كتابه وثيقة تاريخية مهمة ، ومما يؤسف له أن لا يصدر منه إلا قسم واحد فحسب ، وأن يظل باقيه مطويا حتى الآن ..

وغني عن القول ، أن بعض القدامى قد أكثروا منه النقول ، ومنهم على سبيل المثال ، ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ، في كتابه (تاريخ دمشق) .

* * *

قال صاحب (الفهرست) ص ١٨٧ : إنه مقل .. أي في شعره ، ولكن النصوص التي رأيتها فيما نشر من (جمهرة نسب قريش) تدل على خِصب انتاجه وشاعريته .. وهي جزء من شعره لا كله ، وربما كان في سائر الكتاب ، مما لم ينشر بعد ، أو فيما لم يصل إلينا من مخطوطته نصوص أخرى ، فإن الزبير ابن بكار كان حفيا به ، لصلته الوثيقة بآل الزبير ، فهو كثير المدح لهم ، والثناءِ عليهم ، وفيما وقفت عليه من نصوص (الجمهرة) ما يدل على أن الشاعر طرق باب الأرجوزة ، وإن لم يورد من أرجوزته إلا أبياتا معدودة .

حياته وأسرته :

وفي محاولة لاستقراء شيء عن حياته وأسرته ، فيما اطلعت عليه من شعره ، وجدت بعض الإشارات التي نستطيع أن ندرك منها المعلومات التالية :

١ – أن له أبناء يفخر بهم ، كما يفخر بأجداده وأسرته أو عُصبته :

أبى الضيمَ لي قلب ذكي وصارمٌ
وأنف حميٌّ قد أبى الذلَّ والخذلا
وأبناء صدق ماجدون ، وأسرةٌ
مصاليتُ ، كانوا لا بطاء ولا نُكلا [(١)]

٢ – أنه ذكر في شعره (شُميسة) ، وهي في أغلب الظن اسم زوجته ، وذلك في قصيدة كافيَّة

---

(١) التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري ، تحقيق الدكتور حمود عبد الأمير الحمادي ٢/٢٦٠ .

طويلة ، والشاهد في مطلعها :

قالت (شُميسة) ، إذ قامت تودعني
والدمع يجري على الخدين أسلاكا
لا يلهينك عنا ، بَعْدَ فرقتنا
بُعْدُ المزار ، وإن صاحبت أملاكا

وهو يكنيها بأم عمرو ، إذ يرد بعد البيتين تتمةُ الحوار :

فقلت : لو كنت أنساكُم يوما نسيتكمُ
إذ قال لي مصعب : لو شئتَ أجزاكا
خطان في شِبر قرطاس يطير به
منا جريٌّ ، ونمضي . قلت : كلاكا
لابد من نظرة أُشفِي بها كمدي
من أمّ عمرو ، قليلا ثم ألقاكا [1]

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة وردت في (جمهرة نسب قريش) ٢٨/١ وسترد في أشعاره .

فعمرو على ما يبدو ابنه من (شُميسة) ، ويؤيد ذلك أن مناقِضَه أبا مدرك ، حاتمُ بن مُدرك السّلمي [١] قال يخاطبه وقد انعقد بينهما صلح في مسجد رسول الله ﷺ :

دعاني أبو عمرو إلى الله دعوة
أصاب بها ما في فؤادي ولا يدري

---

(١) يبدو أن هذا الشاعر من الأغفال الذين لم تترجم لهم المصادر التي بين أيدينا ، يقول الأستاذ (محمود محمد شاكر) محقق كتاب (جمهرة نسب قريش) ١٠٨/١ في الهامش عند إيراد هذه الأبيات : (لم أجد له ترجمة) ، ويقول محقق كتاب (التعليقات والنوادر) لأبي علي الهجري ، ٢٥٤/٢ في ذكر بعض مناقضاته لابن أبي صبح ، ورد اسمه في اللسان في مادة (نهض) يهجو أبا البوق ، ولم يرد ما يفصح عنه شيئا في المصادر الباقية . أقول : لم يذكره الزركلي في (الأعلام) ، ولم أجده لدى سيزكين في كتابه (تاريخ التراث العربي) ، المجلد الثاني – الجزء الرابع (الشعر) .

إلى حَلَق من خير مَنْ وطىء الحصا
وفي روضة بين الأساطين والقبر
فتُبنا وأشهدنا الزبير ، وإن نعد
بنقض فما من توبة آخر الدهر [١]

فقد كنّاه الشاعر هنا ... بأبي عمرو ..

ونعلم من نَصّ آخر ورد في (جمهرة نسب قريش) ٢١١/١ ، أن له ابنا اسمه (عَدي) ، وهذا هو النص :

« أنشدني عدي بن عبد الله بن عمرو بن أبي صُبح المزني لأبيه ، يمدح مصعب بن عبد الله بن مصعب ، حين أجمع المسير إلى اليمن ، لميعاده مصعبا أن يَطْلُعَ أهله ثم يأتيه بصنعاء ، فقال :

---

(١) جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ١٠٧/١ .

« تقول ابنة الزيدي : أصبحت وافدا
على مَلَكٍ أيِّ الملوك تريد ؟ »

إلى آخر القصيدة ..

أقول : ولعل المراد بابنة الزيدي هنا هو (شُميسة) .

ولا يُعين ما وقفت عليه من النصوص والأخبار على تعيين مولده ، ولا موضع ميلاده ، ولا منازِله ، ولا تاريخ وفاته ، ولكنها تفيدنا مما ذكره عن ممدوحيه الذين سنجد أسماءهم في النصوص التي سأوردها – إن شاء الله – ما يجعلنا نقول إنه من شعراء القرن الثاني من الهجرة ، وإنه كان يقصد الزبيريين بمدائحه في المدينة المنورة وصنعاء ، وإنه كان صديقا حميما لمصعب بن عبد الله بن مصعب ، وإنه لَحِقَ به في صنعاء عندما ولَّى هارونُ الرشيد أباه (عبدَ الله بن مصعب) إمارة اليمن ، حيث احتفى الأب والابن به ، ونزل ضيفا

في دار الإمارة ، وقد بلغ من حفاوة مصعب به أنه كاد أن يحمله معه إلى صنعاء ، لولا أن الشاعر استمهله ريثما يصل إلى أهله فيزورهم ويودعهم ، وذلك ما صرح به في قصيدته .. (قالت شميسة) .. و(تقول ابنة الزيدي) .. وهذا يدل على أن أسرته لم تكن تقيم في المدينة ، وأن منازله تحتاج إلى عدّاء أو جري أو نجّاب « .. إذ قال لي مصعب لو شئتَ أجزاك ، خطان في شبر قرطاس ، يطير به منا جرى ، ونمضي .. ؟ قلت : كلا .. لابد من نظرة أشفي بها كمدي من أم عمرو .. » .

وهو فيما تدل عليه نصوصه الشعرية ، شديد الالتزام للزبيريين وليس لمصعب وأبيه فقط .. بل لغيرهم أيضا ممن سترد أسماؤهم في أشعاره ، وهذا مناقِضُه حاتم ابن مدرك يقول له :

« .. وتنذرنا آل الزبير ، كأننا
طُلبنا بجرم ، أو حملنا لهم ذَحْلا »

وهذه النصوص تدل على أن شاعرنا كان أعرابيا متبدّيا ، وأن دياره قريبة من المدينة المنورة ، يسهل على العدّاء أن يصل إليها على قدميه ، فهو إذن يسكن حوالي المدينة المنورة ، مما يدل على أنه من مُزينة .

وبالرغم من أن إحساسا يخامرني – مما رأيت من طلاقة الشاعر ، وانصرافِه للمديح ، خاصة لمن عاش في كنفهم من الزبيريين ، ودخولِه أحيانا في بعض المعارك الشعرية ، وتطرقِه إلى شيء من الغزل – أن شعره كان كثيرا جدا ، ولكن لم يصل إلينا منه إلا هذا القدر الذي تداوله بعض المدونين .

أما وقد أوردت ما وسعني الوقوف عليه من معلومات عن هذا الشاعر ، فقد حان أن أنتقل إلى الجزء الثاني من الحديث ، وهو إيراد ما عثرت عليه من شعره في المصادر القليلة التي أتيح لي الاطلاع عليها ،

ولعل من الباحثين من يستطيع أن يضيف إليها نصوصا جديدة ، خدمة لتراثنا الشعري والأدبي .

★ ★ ★



الفصل الثاني

أشعاره



(الباء)

١ - قال يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيري :

لعمرك أن المنتمي بابن مُصْعَب
لمعتدلُ المجراة ، جزل المواهب
وإن امرأً بين الزبير إذا انتضى
وبين أبي بكر لمحضُ المضَارب

* * *

المصدر : البيتان في جمهرة نسب قريش ، للزبير ابن بكار ، الجزء الأول ، شرح الأستاذ محمود شاكر وتحقيقه ص ١٤٢ .

المعنى : أن من كان عبد الله بن مصعب أباه ، فهو على طريق مستقيمة ، أجزل الله له المواهب ،

كيف وقد جاء من جدّين عظيمين هما الزبير بن العوام ، جدّه من جهة آبائه ، وأبو بكر الصديق جدّ عبد الله بن الزبير لأمه ، فهو ابن أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين .

٢ – قال يمدح مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري :

إن شئت يوما أن ترى وجه سابق
بَعيدِ المدى فانظر إلى وجه مصعبِ
ترى وجه بسام أغر كأنما
تفرج تاج الملك عن ضوء كوكب
فتًى همه أن يشتري الحمد بالندى
فقد ذهبت أخباره كلَّ مذهب
مفيد ومتلاف كأن نواله
علينا نجاء العارض المتنصب

* * *

المصدر : ٢١٣/١ من جمهرة نسب قريش ، وقد جاءت الأبيات أيضا في تاريخ دمشق لابن عساكر ، المجلد السادس عشر من المخطوطة ص ٥٥٠ . وفيه

البيت الأخير : (بحار) بدلا من (نجاء) . والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب أول ما ينشأ ، والعارض : السحاب المطل يعترض الأفق ، كما جاءت الأبيات في ١١٣/١٣ من تاريخ بغداد . وفيه في البيت الأخير : (المتصبب) بدلا من (المتنصب) .

(الدال)

١ – قال يمدح عبد الله بن مصعب الزبيري ، وابنه أبا بكر :

أكرم بذي شرف ألفَى مكارمه
فوق الثريا فعلّى فوق ما وجدا
ذاك ابن مصعب الموفي بذمته
أعطى الجزيل ، وأوفى كلَّ ما وعدا
من فتية صبروا في كل نائبة
حتى نفوا عنهمُ ما عاب فانتُقدا
بيضٌ بها ليل سيما الملك شاملهم
لا يسأل الناسُ عنهم : من همُ أبدا
إن امتدحكم فقد جَلت صنائعكم
مجرى المديح وقد راخيتمُ الأمدا
قد رِشتموني ، فهذا ريشكم خَضِل
بادٍ عليّ ، وقد أنعمتمُ رغدا

إن الحواري والصديق وابنهما

وابن الرباب ، بنوا بنيانكم صُعدا

ثم الأميران شدّا عقد عروتكم

ولا سبيل إلى حل الذى عَقَدا

نعمَ الأميران بكّار ووالده

ما أشرف الوالدَ الميمون والولدا

المالئَان بعدل الله قبضته

والمصلحان ، بإذن الله ما فسدا

والحافظان لما أوصى الإله به

من حق ذي الحق إن غابا وإن شهدا

والصادران معا عن كل ما تركا

والواردان جميعا كل ما وردا

والطاعنان صدور الخيل مقبلة

والضاربان إذا غاب القنا قِصدا

أعزز بمن كان عند الله ناصرَه
ومن يكون أبو بكر له عضدا

* * *

المصدر : ١٤١/١ ، ١٤٢ من جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار .

٢ - وقال يرثي عبد الله ومحمدا ابني مصعب ابن ثابت :

قل للأمير جزاه الله عارفة
وأهلَ ودّي جميعا من بني أسدِ
إني نذرت إنِ الرحمن سلّمني
حتى أقوم صحيحا غير ذي أوَدِ
مشيا بحقكمُ حتى أُؤديَه
هل يبردن ذاك من حَرٍّ على كبدي ؟
أو ينشرن ذاك عبد الله لي أبدا
أو ينشرن لي أخاه آخر الأُبد
إن يشمتِ اليومَ حُسّادي بموتهما
فقد يموتون قبل اليوم من حسد
وقد أرانا وعبد الله يحملنا
كحامل الغيث بين الغور والنُّجُد
فإن جزعتُ فمثل الشر أجزعني
وإن صبرت فأدنى لي إلى الرَّشَد

وإن شكرت فقد أبقى الإله لنا
خلائقا من بنيه ثُبّت العُمَد

إن يُعْقِب الله يوما من مصيبته
فبالأمير ، وإلّا لجَّ بي كمدي

* * *

المصدر : ١٥٢/١ ، ١٥٣ من جمهرة نسب قريش . والمقصود ببني أسد هنا : أسد بن عبد العزى جد الزبيريين ، والأبيات على ما يبدو موجهة للأمير أبي بكر بن عبد الله بن مصعب ، الذي خلف أباه في إمارة المدينة المنورة ، وهو المعروف ببكار .

٣ – قال يمدح مصعب بن عبد الله بن مصعب ، حين أجمع المسير إلى اليمن لميعاده مصعبا أن يطلع أهله ثم يأتيه بصنعاء :

١ – تقول ابنة الزيدي : أصبحت وافدا
على ملك أيّ الملوك تريدُ ؟

٢ – فقلت لها : مستوردٌ حوض مصعب
فقالت : وأنّى والمسير بعيدُ ؟

٣ – فقلت لها : لو كنتُ في سجن عارم
بدمياطَ ، قد شدّت عليّ قيودُ

٤ – لسارت إليه مدحة مزنيّة
يلذّ بها في المنشدين نشيدُ

٥ – أرى الناس فاضوا ثم غاضوا ومصعب
على العهد يَغْطِي بحرُهُ ويزيدُ

٦ – إذا صدرت بالحمد عن حوض مصعب
وفودٌ ، وحلت بعد ذاك وفودُ

٧ – تهلّل فيّاض الندى عاجلُ القرى
إذا انهل وهنًا قِطْقِطٌ وجليدُ

٨ – أقول لمغتاظٍ عليّ كأنما
بلبته حامي السنان حديدُ

٩ – تبرد بعيبي في الخلاء فإنه
نفى العيب عني مشهد وجدودُ

١٠ – وبغرةُ أملاك تنجبت نُوءها
فأسقِيتُها والحاسدون شهودُ

١١ – تعلقت الحساد منها زمانة
فلم يبق إلا أن يموت حسودُ

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/٢١١ ، ٢١٢ ، وقد رواها الزبير بن بكار عن عدي بن عبد الله ابن عمرو بن أبي صبح المزني ، ابن الشاعر . وقد نقلها

ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٥٢/١٦ – المخطوط .

وفي البيت الرابع إشارة صريحة إلى قومه (مزينة) ، ويغطي في البيت السادس معناها :يزيد ، ومعنى قِطْقِط في السابع : صغار البَرَد . والبَغرة في البيت العاشر معناها : الدفعة الشديدة من المطر .

(الراء)

قال يمدح مصعب بن عبد الله :

١ – فما عيشنا إلا الربيع ومصعب
يدور علينا مصعب وندور

٢ – وفي مصعب أن غبّنا القطر والندى
لنا ورق مغرورق وشكير

٣ – متى ما يرى الراؤون غُرةَ مصعب
ينير بها إشراقه ، فتنير

٤ – يروا ملكا كالبدر أما فناؤه
فرحب ، وأما قدره فكبير

٥ – له نِعَمٌ من عَدّ قَصّر دونها
وليس بها عما يريد قصور

٦ – عددنا فأكثرنا ومدت فأكثرت
فقلنا كثير طيب وكثير

٧ – لعمري لئن عدّدتُ نعماء مصعب
لَأشكرَها إني إذًا لشكور

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ٢١٢/١ ، ونقلها ابن عساكر في المجلد السادس عشر – المخطوط ص ٥٤٩ ، كما نقل خبرها الوارد في الجمهرة ونصه : « حدثنا الزبير بن بكار ، وكان أبو غَزية محمد بن موسى الأنصاري ، كثيرا ما يجلس إليّ ، فجلس إليّ ليلة بين المغرب والعشاء الآخرة ، في مسجد رسول الله ﷺ ، وهو إذ ذاك قاض ، فتحدثنا إلى أن ذكرنا الشعر ، فقال : ابن أبي صبح المزني أشعر الناس ، حيث يقول لعمّك » ثم ذكر الأبيات .

أقول : وترجمة محمد بن موسى في أخبار القضاة ٥٧/١ مات سنة ٢٠٧ هـ . وفي هامش ص ٢١٢ من

جمهرة نسب قريش ذكر المحقق بعض مصادر ترجمته .

ومعنى الشكير في البيت الثاني : الورق الصغير يتلو الورق الكبير في النمو .

(الصاد)

وقال :

١ – أبى قلبه منهن أن يتخلصا
وقد محّ سربال الشباب وقلصا

٢ – رمين وأرماهن في كل موطن
فأحذينه نبل الخبال ، وأشخصا

٣ – إذا شئن أن يوطئنه حبل عاثر
ليصطدن منه فرصة مرَّ أفرصا

٤ – تلبسن أبرادا ، وأبرزن أوجها
حسانا ، وأظهرن الجمان المخرصا

٥ – وفتَّرن حورًا إن دعت قلب تائبٍ
أجاب وإن نصنصن قلبًا تنصنصا

٦ – سقى الله من نوء الثريا ظعائنا
تيممن نجدا ، واختصرن المرخصا

٧ – ظعائن ممن سار فاحتل رابغا
ودان ، أيام الجلا ، فالأخمصا
٨ – أقمن به حتى أتى الصيف قادما
وقضوا لبانات الربيع فأشخصا

* * *

المصدر : التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري : مصورة مخطوطة الجمعية الآسيوية في (كلكته) ، أطلعني على محل الشاهد أستاذي الشيخ حمد الجاسر ، جزاه الله خيرا ، وخطها غير جلي ، وقد استعنت ببعض الأصدقاء على حل رموزها .

الألفاظ الغريبة :

١ – مح : بلى . قلّص : تقلص .
٢ – أحذينه : أعطينه . وأشخص : يقال

الشخص أشخص السهم إذا مرق أعلى الغرض (الهدف) . والمقصود أن سهامهن أصابته وأخطأ سهمه فلم يصبهن ..

٤ - المخرصا : أي الذي ازدان بالخرصان . وهي حلق الذهب والفضة أو ما يماثلها .

٥ - نصنص : حَرَّك .

٨ - أشخص (في البيت الأخير) : ارتحل .

(الفاء)

قال يمدح عبد الله بن مصعب وابنيْه : أبا بكر ومصعبا :

١ — يا أيها الرجل المهدي الغناءُ له
من كل شِعب يداني ثم يختلف

٢ — دع عنك ليلى ، فما ليلى بجازية
لا تجهلن ولا يلجج بك الكلف

٣ — واذكر بأحسن قول أنت قائله
آل الزبير ، فقد أعطوْا وقد عطفوا

٤ — وقد سقوك بسَجْل من سجالهمُ
حتى رَويت ، وقد زادوا وقد لطفوا

٥ — وقد كفاك نداهم نوء غيرهم
فلا تعول على الغرف الذي غرفوا

٦ — قد كان لى في أبى بكر ووالده
ومصعب ذي الندى من تالد خلف

٧ – والثابتيّون قوم في ودادهم
غنم الحياة ، وفي أحقادهم تلف

٨ – اللاحظون بنور الله إن غضبوا
والشاملون بيمن حيثما انصرفوا

٩ – والفارطون فلا توبى حياضهم
بالواردين ، وإن ذوّادها قصفوا

١٠ – إن ابن مصعب الميمون طائره
ثبيٌّ على خير ما سدَّى له السلف

١١ – لا يدرك الناس في المجراة غايته
ولو تعالوْا ، ولوْ خبوا ولَوْ خنفوا

١٢ – تمشي الملوك على أذيال لأمته
إن سار ساروا وإن أَوْمَا : قفوا ، وقفوا

١٣ – يا ابن الزبير لقد فرجت من كربي
ورفّلتني لك الفيْضات والتحف

١٤ – وقد جبرت جناحي بعد رقته
حتى انتهضتُ ، وحتى مسني الترف

١٥ – وقد تخلصتني من بين مأسدة
أذلني لهم السلطان والصحف
١٦ – أدركتني بعد أن دارت عُقابهم
وقد بللت لها رأسي وقد وحَفوا

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/١٤٠ وينظر أيضا ١/١٢٢ .

المعنى : معنى البيت التاسع أنهم يتقدمون قومهم ، وقوله : لا توبى حياضهم : أي لا تنقطع من الماء . وقصفوا : تزاحموا .

وفي البيت العاشر معنى ثبّي : اقتفى . وسدى : خلّف .

وفي البيت الحادي عشر : أراد الشاعر أن الناس

لو جاروه لما استطاعوا اللحاق به مهما استعملوا من أنواع العَدْو .

وفي البيت الثالث عشر : أراد في الشطر الثاني : أنك جعلتني أرفل في فيضك وتحفك .

وفي البيت السادس عشر (الأخير) يقول : أدركتني بعد أن تهيأت لاستقبال الحالقة . وبللت رأسي للحلق لمتي . وهو نوع من التعزير كان يخضع له المغلوب والأسير ، ومعنى وحفوا : أسرعوا .

(القاف)

١ – وقال يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب من أرجوزة يقول فيها :

يا بكرُ أدعوك وفيا صادقا

ثم قال فيها :

وقد رأينا الحلق المصالقا
وهي تسامي ترسل الشقاشقا
إن نظرت يوما إليه باسقا
أو كرّ فيها ناظرا أو ناطقا
ألقت على الأرض له العنافقا

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/١٨٥ .

المعنى : الحَلَق : جمع حَلَقَة . المصالق : ذات

الضجيج . تسامى : تتعالى . الشقاشق : الهدير . العنفقة : الشعر تحت الشفة السفلى : أي أن حلقات الرجال التي تهدر بضجيجهم ، إذا جاءها فنظر أو نطق .. أبدت خضوعها واستمعت إليه .

٢ – وقال يمدح مصعب بن عبد الله :

١ – وقد علمتُ ، ألا والله يعلمه
ما قلت زورا ولا من شيمتي المَلَقُ

٢ – إني لأحبس نفسي ، وهي صاديةٌ
عن مصعب ، ولقد بانت ليَ الطرق

٣ – رعوى عليه كما أرعى على هَرِمٍ
قبلي زهيرٌ ، وفينا ذلك الخُلُقُ

٤ – مدح الكرامِ ، وسعيٌ في مسرتهم
ثم الغنى ، ويد الممدوح تندفقُ

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/٢٠٧ ، تاريخ دمشق ١٦/٥٤٩ مخطوط .

المعنى : الرعوى : الرعاية والإشفاق ، وهو يشير في هذا البيت الثالث إلى أن زهير بن أبي سلمى ، وهو

مزني مثله ، كان يشفق على ممدوحه هرم بن سنان .
ذكر محقق الجمهرة الأستاذ محمود محمد شاكر في الهامش نقلا عن الأغاني ١٠/٣٠٥ أن هرما كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، فاستحى زهير مما كان يقبل منه . فكان إذا رآه في ملأ قال : عموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وفي البيت إشارة إلى كونه من مزينة ، ولعله يقصد بالغنى في البيت الرابع (الأخير) : التعفف .

٣ - وقال يمدحه أيضا :

١ - إذا رفعت أحراسه السير واستوى
على ظهر مصفوف عليه النمارقُ

٢ - بدا ملك في صورة البدر طالعا
فيالك حُسْنا زَيّنَتْهُ الخلائقُ

٣ - خلائق أحرار الملوك ونورُها
يلوح عليها نظمها المتناسقُ

٤ - فتى لم تفته خطة تجمع التقى
إلى المجد إلا ضمها فهو رائقُ

٥ - فنحن بفضل الله في فضل مصعب
لنا صابح من ذي نداه وغابقُ

٦ - ستبلغ عني مصعبا - غير باعد -
مدائحُ تذروها الرياح الزواعقُ

٧ - جزاء بآلاء له إن شكرتها
شكرت عظيما لم تصفه المناطقُ

٨ - ألم تلُفني ذا خَلة فاصطنعتني

وأطلقت مالى ، وهو في الرهن غالقُ

٩ - وأنقذتني من لُجة الدَّين بعدما

غرقت ، وغاشى لجة الدين غارقُ

١٠ - وأغنيتني عمن سواك وأنبتت

رياحك ريشي والنجاءُ الدوافقُ

١١ - وأسبلتَ إسبالَ الربيع وأخصبتْ

رياضك للجادين ، والله رازقُ

١٢ - فاقسم لا أحصى الذي فيك مادحٌ

بمدح ، ولكني جزوفٌ مخارقُ

١٣ - ولا ضن نصحا عنك بالغيب مؤمن

تقيٌّ ، ولا عاداك إلا منافقُ

١٤ - ولا خفتُ إلا الكاشحين ملمة

عليك ، ولكني بذي العرش واثقُ

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/٢٠٩ – ٢١٠ ، وهي في مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/٥٥١ ، ٥٥٢ . وقدم وأخر في البيتين الأخيرين .

وفي البيت التاسع إشارة إلى أن ممدوحه فك الرهن الذي كان فيه ماله ، ولعل هذا يفسر لنا قوله في القصيدة الفائية التي سلفت حينما قال :

وقد تخلصتني من بين مأسدة
أذلني لهمُ السلطان والصحف
أدركتني بعد أن دارت عقابهم
وقد بللت لها رأسي وقد وحفُوا

(الكاف)

١ - قال يمدح مصعب بن عبد الله :

١ - قالت (شميسة) إذْ قامت تودعني
والدمع يجري على الخدين أسلاكا

٢ - لا يلهينَّكَ عنا بَعْدَ فرقتنا
بعدُ المزار ، وإن صاحبت أملاكا

٣ - فقلت : لو كنت أنساكُم يومًا نسيتكمُ
إذ قال لي مصعب لو شئت أجزاكا

٤ - خطان في شبر قرطاس يطير به
منا جريٌّ ونمضي . قلت : كلاكا

٥ - لابد من نظرة أشفِي بها كمدِى
من أم عمرو ، قليلا ، ثم ألقاكا

٦ - دع عنك ما فات ، واكس الرحل معترفا
أعطاكه مصعب أيام ألفاكا

٧ – عارٍ جناحك قد حُصّت قوادِمُه
قد عضك الدهر عضات فأدماكا
٨ – ياذا الندى . ليس لي في غيركم وطر
أغنيتني بالغنى ، والله أغناكا
٩ – إن امتدحْكم ، فخير القول مدحكمُ
وقد ننال بغير المدح جدواكا
١٠ – يا أوسع الناس فضلا بعد والده
إن تَعْطِ خيرًا فإن الله أعطاكا
١١ – مجدا تطأطأ عنه كلُّ ذي شرف
فيمنع الناس أن يجروا بمجراكا
١٢ – مدّ ابن أسماء كفيهِ بمكرمة
وابن الرباب فقالا : مصعب هاكا
١٣ – أنت ابننا ، ما اجتمعنا قط في رجِل
فيستطيع له الساعون إدراكا
١٤ – ثم الأمير أدام الله صالحه
نعم المبوّا بحمد الله بوّاكا

١٥ - رقاك في المجد حتى نلت ذِروته
فمن بغاك محلَّ النجم وافاكا

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ومخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/٥٤٩ ، ٥٥٠ . وفيه البيت الثالث بدون (فقلت) وهي هنا زائدة ، وبها يختل الوزن . وفي الخامس (كبدي) محل (كمدي) .

وقد ذكر (الزبير بن بكار) قصة هذه الأبيات ، بعد إيرادها ، فقال :

« حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني قال : لما استُعمل عبد الله بن مصعب على اليمن ، قال لي مصعب بن عبد الله : امضِ معنا إلى صنعاء . فقلت : لم أُعلم أهلي ذلك . فقال : نرسل رسولا

ونكتب معه بحاجتك ، وتمضي معنا وتكفاهم . فقلت : لابد لي من مطالعتهم ، ثم ألحقكم ، وهو حين قلت هذه القصيدة . ثم قدمت عليهم صنعاء ، فأنزلني عبد الله بن مصعب معه في دار الإمارة ، وأجرى علي خمسين دينارا في كل شهر ، وأكرمني ، ثم غرضت (قلقت) فشكوت ذلك إليه ، واستأذنته في الانصراف ، فأذن لى وأعطاني خمسمائة دينار ، وكساني كسوة فاخرة من عَصب اليمن ، وأمرني فدخلت على نجائبه ، فأخذت منها نجيبًا مهريًا ، فانصرفت سالما غانما إلى أهلى » . اهـ .

(اللام)

١ - قال يمدح أبا بكر بن عبد الله :

١ - كأن لم تريْ غب ارتحالي وغيبتي
وعرف أبي بكر بسَجل على سجلِ

٢ - مدحت أبا بكر فما خاب عنده
مديحي ، وما ألفيته عنه ذا شغل

٣ - وما كذّبتني سنّح الطير دونه
وما كذبت رؤياي إذْ نمتُ بالرمل

٤ - أنخت فلما ملت في نشوة الكرى
رأيت عليّ الريشَ أخضر كالبقل

٥ - وأبصرتُني أسمو إلى البدر طالعا
وأعقد في أسباب أحبله حبلي

٦ - وأغرف من فيض الفرات وأكتفي
من النّيل عبابا فأسقي به نخلي

٧ – فقلت لأصحابي : جرت طير أسعد
لكم فوت أعناق الغريرية الفُتْل
٨ – ورؤياك أخد الكف بالكف بشرت
بيوم ندى من ذي ندى واسع الفضل
٩ – متى تهبطوا أرض الزبيري تُعتِقوا
خشاش المطايا ، من سآم ومن هزل
١٠ – أثابك عنا اللد حسن ثوابه
بعدلك في الأحكام والخلق الجزل
١١ – خلفت لنا الصديق تهدي كهديه
وهدي الزبير حذوك النعل بالنعل
١٢ – وسرت إلينا والبلاد كأنها
لما غبّ من أدوائها مرجل يغلي
١٣ – فداويتها حتى إذا ما شفيتها
من الداء والتأمت جميعا على العدل
١٤ – وطئت على سيائها فكأنما
رسا وَرِقانُ فوقها وقرى تُبْل

١٥ – فأصبحتَ يا ابن الخير تنمِي إلى العلى
على حنق الأعداء والحدق الشهل

١٦ – وإن أمير المؤمنين لعارف
غناءك عنه في البلاء الذي تبلى

١٧ – وإني لمثن بالذي قد فعلتم
بنى ثابت في الناس ما اشتد لى عقلى

١٨ – وإني لأدعوكم إذا جلَّ حادث
من الدهر أو ضاقت بنا عروة الحبل

١٩ – وأعلم لولا الزُهْر من آل ثابت
لمرت ببعض القوم خفّاقة الرِّجل

٢٠ – ولكنهم جادوا وسادوا وأنعموا
وقادوا وردوا بالندى طيرة الجهل

٢١ – وماحوا وراحوا بالندى حين لم ترح
بدرِتها أم عوانٌ على طفل

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/١٦٦ — ١٦٧ .

وكانت بينه وبين أبي مُدرك ، حاتم بن مدرك الحبشي ، من بني الحارث ، سُلَمى ، ملاحاة شعرية ، وقد جاء في كتاب (التعليقات والنوادر) لأبي علي هارون بن زكريا الهَجَري [1] ، أنشدني شيخ من جبلة الفُرع [2] لأبي مدرك .. يرد على عبد الله بن أبي صبح المزني :

١ — ألا أيها الغادى اتق الله واحتمل
لنا حاجة لا تستبين لها ثقلا

٢ — تبلغ يعقوب بن يحيى رسالة
وعَمْرا وشبلا أودع الله لى شبلا

---

(١) توفي نحو سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م كما في (الأعلام) للزركلي ، ولأستاذنا الشيخ حمد الجاسر كتاب عنه .

(٢) جبلة والفُرع : موضعان قرب المدينة .

٣ – وحي بني لقمان فالحي جيرة
وتقرا عليهم من تحيتنا مثلا [١]

٤ – وكلّ بني عيش الكرام فإنهم
صديق وجيران أرى لهم فضلا

٥ – إذا جئتهم من مخدع الغيب ساعة
لأنظر ما هم لم أجد لهم دغلا

٦ – وقل بعد هذا كله : إن حاتما
يقول لكم : قولوا لصاحبكم : مهلا

٧ – وقولوا له : ما بال عقلك ناشئا
وجهلك لما عدت ذا شيبة كهلا ؟

٨ – كأنك لم تقرأ من الوحي سورة
بأرض ، ولم تسمع بها ساعة تتلى

٩ – إذا ما التقينا عدّ ما كان بيننا
من الحلف والإسلام واجتنب الجهلا

---

(١) حيرة : وردت بالحاء وأظنها بالجيم .

١٠ – وإن غبتُ عنه ساعة ظل يفتري
علىّ ، فلا أدري أأشتمه أم لا ؟

١١ – أمَ اعرض عن عوراته فهو جاهل
فيكفر إحسانى ، ويحسبه ذلا

١٢ – أمَ اشْتم جيراني فأصبح مثله
أعوذ بربي ، أن أكون له مثلا

١٣ – وإني لأستحيي من القوم أن أُرى
جبانا جهولا لا حليما ولا نكلا

١٤ – وأن يعلم الأقوام أنيَ كالذي
يكون على معروفه أبدا قفلا

١٥ – فما زلت تغشانا بشنيك ظالما
ونصفح حتى ما تظن لنا عقلا

١٦ – وتنذرنـا آل الـزبير كأننـا
طُلبنا بجرم أو حملنا لهم ذحلا

١٧ – وتقتحم الأنساب من دون خندف
كأنك تُعطي دونهمْ باليد السفلى

١٨ – كأنك لم تعلم أبا لك دونه
بلى ، قد علمنا أن في خندف فضلا
١٩ – وأن قريشا خير من وطىء الحصى
وأنعمه فرعا وأكرمه أصلا
٢٠ – فإن كنتم إخوانه فابن عمه
حبيب قريب الدار مستوجب وصلا
٢١ – كريم فلم يبسط يدا بعداوة
إليهم ولم يبعث بها لهم رجلا
٢٢ – فلا تطرحنا إن سقوك على الظما
مع الناس يوما من سجالهمُ سجلا
٢٣ – فما هي إلا نقمة تبتلى بها
كما كنت بالأولى التي قبلها تُبلى
٢٤ – فليت لنا عدلا فيحكم بيننا
وأهون مما بيننا نبتغي عدلا
٢٥ – له ربذي من قُرى قطرية
شديد جديد مُذيع محكم فتلا

٢٦ – فينظر أسوانا إذا كان غائبا
لصاحبه عيبا ، وأقبحه فعلا
٢٧ – وأشبهنا وجها إذا كان بيننا
بوجه الظلوم ثم يوجعه غسلا
٢٨ – ويشهدنا آل الزبير وهـاشم
وآل أبى بكر مجالس لا تقلى
٢٩ – ويُجلس ذلفاء المليحة عندنا
وجملا فإن الله ملح لى جملا
٣٠ – هجانان قال الله كونا فكانتا
كما قال لا تدرون أيهما أحلى
٣١ – وذلفاء من غير التماس لعيبها
بغور فلم تسكن دماثا ولا سهلا
٣٢ – وليست كأخرى بالبياض فأعطيت
بياضا ولحما مايرًا وشوى خدلا
٣٣ – ملا العين ، ريا الحجل يلعب سمطها
كأن بعينيها ولم تكتحل – كحلا

٣٤ – فلا يرفع الجلاد عنه سياطه
بمحضرِهم حتى يقولوا له : بَسْلا
٣٥ – وحتى يرى آل الزبير وهاشم
وآل أبي بكر عقوبته مَثلا
٣٦ – ويُقدر للمظلوم أن يجمعا له
ويجلد أسواطا أشدهما بخلا

٢ - فأجابه عبد الله بن أبي صبح المزني :

١ - ألا حييا الذلفا إلا حييا جملا
وقولا : تغنى حاتم بكما جهلا

٢ - لكيما تظنا أنه اليوم فارغ
وأقسم إني قد ملأتَهُ بي شغلا

٣ - وفضلكم يا جمل وكيما لعلني
أروح مغيظا قد حملت لكم ذحلا

٤ - وأنت من أن تشقى بنا كحمامة
بمكة ، يغدو سربها حرما سهلا

٥ - سقى الله ذلفاء الربيع وتربها
وجملا فاسقى الله من صيّف سَجلا

٦ - سقى الله كل منجاد المحلة والنوى
أناة .. ضا تملأ القلب والحجلا

٧ - إذا برزت بين القطين وأبرزت
جميل المحيا لا كئيبا ولا جبلا

٨ – رأيت إليها البِيض مِيلا كأنما
أمرن بأن يرعينها الحدق النجلا

٩ – .. مهلا فإنك قلت لي مهلا
وإن قلت قولا فانتبل نبلا جزلا

١٠ – إليك فإني غافر لك ما مضى
من اللغو إلا أن تحملنا ثقلا

١١ – وتلقي علينا جانبيك كليهما
وتسرع في أعراضنا الجد والهزلا

١٢ – وتعرض دون الجانبين فلا أرى
لمثلك إلا أن أعرضه نكلا

١٣ – فإن كنت قد أبصرت من بعد عشوة
فأهلا بما أحدثت من سلمنا أهلا

١٤ – فلست ولا أطغى بأول عاشي
عشا ، فجعلت القافيات له كحلا

١٥ – وما إن أحب الشر ما لم تجره
علي جُناتي أو أكون له نعلا

١٦ – بل أصفح إجمالا وأدرأ سبّه
بأحسن ما يُدري وأدمله دملا
١٧ – وأدفعه حتى إذا حل ساحتي
صليت بأذكى جمره كل من يصلى
١٨ – أبى الضيمَ لي قلبٌ ذكي وصارم
وأنف حمي يابأُ الذل والخذلا
١٩ – وأبناء صدق ماجدون وأسرة
مصاليت كانوا لا بِطاء ولا نُكْلا
٢٠ – وعقدى بحبليْ مصعب وابن مصعب
وحبل أبى بكر برغم العدى حبلا
٢١ – كأنك نشنا إن فخرت بخندف
كأنك لا ترضى طريقتك المثلى
٢٢ – كأنك لم تعلم أبا لك مثله
ولا وأبيكم لا تكونوا له مثلا
٢٣ – فإن تك قد أصبحت ثوبان آمنا
مثلا وغرتك الأكولة والرسلا

٢٤ – فلا تأمن الأولى التي قد تعرقت
فقارك حتى عدت ذا شيبة كهلا

٢٥ – ألا يا لقوم من ترى مثل حاتم
يجور ويبغي بيننا حكما عدلا

٢٦ – ويدعو لنا أن يرسل الله جالدا
على شرنا رأيا ، وأقبحه فعلا

٢٧ – وأشبهنا وجها إذا قيس بيننا
بوجه الظلوم ، ثم توجعه غسلا

٢٨ – ويشهدنا آل الزبير وهـاشمٌ
وآل أبي بكر مجالس لا تقلا

٢٩ – فقلت له : آمين آمين إنما
دعوت على الأردى فبسلا له بسلا

٣٠ – فإن شهدت آل الزبير وهاشم
وآل أبي بكر فقد علموا الغلا

٣١ – وكلٌّ قريش يعلمـون أمورنـا
وحيث يظنون الدواغل والدغلا

٣٢ – تمشيت للذلفاء بخلًا لعلها
تعاقب ، والذلفاء خالية بخلًا

٣٣ – وسمحت جملا وهي ظني بخيلة
ولكن بما قد تنطق الكلم الخطلا

* * *

المصدر : التعليقات والنوادر ٢٥٤/٢ وما بعدها .

ويلاحظ أن في هاتين القصيدتين ألفاظا غير مفهومة ، وبعضها ترك محله محقق الكتاب بياضا ، ويبدو أن المخطوطة كانت عسرة الخط .

(الميم)

١ – قال يمدح هاشم بن يحيى بن هاشم بن حمزة :

فمن سائلي عن هاشم : كيف هاشم ؟
فإنا وجدنا هاشما خير هاشم
وجدنا فتى أفضت إليه جدوده
ببنْي المعالي ، واكتساب المكارم

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/٦٧ ، ٦٨ .

وحمزة : هو حمزة بن عبد الله بن الزبير .

٢ – وقال يمدح أبا بكر بن عبد الله بن مصعب ، وما تمتع الناس به من أمن على عهد ولايته للمدينة المنورة :

١ – أمسى الحجاز أمنت أصرامه
وصح نجد وبرى سقامُه

٢ – رقعه وقد وهت أخصامه
بالعدل حتى سكنت عرامه

٣ – ثمَّتَ جادت بالندى رِهامه
فهو كغيث مسبل غمامه

٤ – إرزامـه بالوبْـل وانهزامـه
ما فالَ فيه بَصَرٌ يشامه

٥ – عدل أبي بكر ولا إسلامه
ولا الحوارِي ولا إقدامه

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ١/١٦٥ .

الألفاظ الغريبة :

١ - الأصرام : الفرقة من الناس ينزلون ناحية من الماء .

٢ - الأخصام : هي زوايا المزادة وجوانبها .

٣ - الرهام : المطرة الصغيرة الدائمة .

٤ - الإرزام : صوت الرعد يصحب الغيث . والإنهزام : تشقق السحاب بالماء مع صوت . وفال إذا تفرس فأخطأ ولم يصب .

٣ – وقال يمدح مصعب بن عبد الله بن مصعب :

١ – إن الحواري والصديق وابنهما
دعائم الدين إذْ شدت له الدّعمُ

٢ – وثابتا ذا الندى والمصعبين معا
وذا اليمينين ، عبد الله بعدهم

٣ – شدوا عرى مصعب في كل مكرمة
وعلموه من الخيرات ما علموا

٤ – فهو الكريم ملاقاةً ومختبرا
وابن الكرام إذا ما حُصل الكرم

٥ – رحب الفناء ، رخي الباع ، محتمل
للمضلعات إذا اشتدت بنا الأزَم

٦ – لا تنكر العُوذُ منه أن يَضرّ بها
ولا العشار إذا أضيافه قدموا

٧ – ولا يبالي وإن كانت ممانحة
أن يخضِبَ السيفَ من أنسائهن دم

٨ – ياذا الندى ، والذي حج الحجيج له
هل بعد هذا على ذي محنة قسم

٩ – لئن نشرتُ ثناء لا خفاء به
لقد بسطتَ عطايا مالها قيم

١٠ – ذقنا الثناء فلم تألُ الجزاءَ به
وقد جهدنا وما في نصحنا وَخَم

١١ – لن ينفدَ القولَ ما أسديت من حسن
يا ابن الحواري حتى تنفدَ الكَلم

١٢ – ولا نزال بخير ما بقيت لنا
تَمّتْ علينا بك الآلاء والنعم

* * *

المصدر : جمهرة نسب قريش ٢١٣/١ ، ٢١٤ ، وهي في تاريخ دمشق ، المجلد ٢٥٢/١٦ المخطوطة .

(النون)

قال ابن أبي خيثمة : قال دعبل : حضر محمد ابن عبد الملك الفقعسي دارا فيها وليمة ، وحضرها ابن أبي صبح الأعرابي . وكان بدويا نزل بغداد ومات بها ، وكان شاعرا مُجيدا ، فازدحما على باب الدار . فغلب ابن أبي صبح ودخل قبل محمد ، فقال ابن أبي صبح :

ألا يا ليت أنكِ أمّ عمرو
شهدتِ مقاومي كي تعذريني
ودفعي منكب الأسدي عني
على عجل ، بناجية زبون
بمنزلة كأن الأُسد فيها
رمتني بالحواجب والعيون
وكنت إذا سمعت بحي خصم
منعت الخصمَ أن يتقدموني

* * *

المصدر : كتاب الورقة لابن الجراح ١٤ ،
والفهرست ٥٥ .

★ ★ ★

الفهرس

